حومات ودروب مدينة مراكش

دراسات وأبحاث

جمع وتنسيق:

عبد القادر عرابي



حومات ودروب

مدينة مراكش

دراسات وأبحاث

حومات ودروب مدينة مراكش

دراسات وأبحاث

جمع وتنسيق:

عبد القادر عرابي

تم نشر هذا الكتاب في إطار سلسلة مراكشيات
ضمن محور: - ذاكرة أماكن-

• **الكتاب:**
حومات ودروب مدينة مراكش: دراسات وأبحاث
• **جمع وتنسيق:**
عبد القادر عرابي
• **عدد الصفحات:** 352 صفحة
• **مقاس:** 17×24 سنتم
• **الطبعة الأولى:** مراكش 1439هـ/ 2018م
• **الكلمات المفاتيح:** عمران مدينة مراكش – الأحياء التاريخية – المدينة العتيقة
• **الحقل المعرفي:** عمران– تاريخ / / آثار (مدينة مراكش)
• **ديوي:** 900

رقم الإيداع القانوني: 2018 MO 3576
الرقم الدولي: 3 – 01 –756– 9920 –978



مؤسسة افاق للدراسات والنشر والاتصال،
483/4 الوحدة الرابعة، الداوديات – مراكش – المغرب
Tél/Fax: 05 24 30 73 59
www.afaqedit.com
Email: afaqedit@gmail.com

خطوط الغلاف: الخطاط الفنان جلال حديدو
تصميم الغلاف: مؤسسة آفاق – مراكش
الطباعة: المطبعة والوراقة الوطنية – مراكش– المغرب

فهرس

❋ ملاحق:

حومات مدينة مراكش:
الخصوصيات، التاريخ وإشكالية المصدر

ذ. سمير أيت أومغار*

يعتبر البحث المونوغرافي في التاريخ مدخلا حقيقيا لتكثيف المعارف واختبار النظريات، فهو يبتعد بالباحث عن التعميم، ويمنحه إمكانية الإمساك بالتفاصيل التي غالبا ما تفلت من يد "التاريخ العام". لهذا السبب انبرى مجموعة من الباحثين منذ مرحلة الحماية، لإنجاز بحوث مونوغرافية، ممهدين بذلك السبيل لتحقيق التراكم المعرفي والمنهجي الضروري لعملية التركيب. وخلافا للنعت الذي أطلقه فيليب أرياس (Philippe Ariès) على المشتغلين بهذا النوع من الكتابة، وهو "مؤرخو يوم الأحد"[1]، كناية على اختصاص الهواة من الباحثين في التاريخ بهذا النوع، يمكننا التأكيد ههنا، أن التاريخ المحلي أخذ منذ النصف الثاني من القرن العشرين نصيبا متزايدا من اهتمام المؤرخين المحترفين في المغرب[2]. لهذا السبب، ولأسباب أخرى متصلة بوضعية البحث التاريخي حول مراكش، اخترنا في هذه الدراسة البحث في تاريخ مُكون أساسي وبنيوي من مكونات النسيج الحضري لمدينة مراكش، هو الحومة.

*- أستاذ باحث، سلك الدكتوراه، تخصص تاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش.

[1]- Ariès, Ph., ***Un historien du dimanche***, Paris, Éditions du Seuil, 1980.; Müller, B., «***Écrire l'histoire locale: le genre monographique***», in Revue d'Histoire des Sciences Humaines, n°9, 2003/2, p: 38.

[2]- السبتي عبد الأحد، **التاريخ والذاكرة؛ أوراش في تاريخ المغرب**، الدار البيضاء - بيروت، المركز الثقافي العربي، 2012، ص: 57.

الحومة: المفهوم، الخصوصيات والنشأة

تعد الـحُومة[1] كقطاع حضري متجانس إحدى الخصائص الـمُميزة للمدينة العربية الإسلامية. وهي نِتاج عملية تَـجَمُّع عدد من الدُّروب[2]حول تجهيزات ومرافق جماعية، يجد فيها السكان كل ما يضمن لهم استمرار واستقرار حياتهم اليومية، الروحية والمادية.

وتتكون الحومات كما سلف الذكر من عدة دروب تنتهي منافذها عند زقاق أو عدة أزقة رئيسية، وعلى امتداد هذه الأزقة نجد مختلف التجهيزات الضامنة لاستقلالية الحومة، وهي: المسجد، الميضأة والمراحيض، السقاية، الـحَمَّام، المدرسة القرآنية، السويقة (السوق الصغير)، ثم الفرن والرَّحَى (طاحونة الحبوب)...الخ[3]، لهذا السبب اعتبر البعض الحومة تجمعا سكنيا أكثر منها تجمعا تجاريا وحرفيا رغم توفرها على بعض المتاجر والدكاكين، لاختلافها عن الأسواق في الوظيفة والتنظيم[4]. لكننا نجد في بعض المصادر المغربية الوسيطية إشارات للحُومَات باعتبارها جهات أو قرى أو مُدن[5]، لا مجرد مُكَوِّن من مكونات المدينة. قد يكون الأمر مجرد اختيار لغوي

---

[1]- الحومة، جمعها حومات، أي الأحياء. قال الشاعر الأمَوِيُّ الفرزدق:

لـــئن حـــومتي هابـــت معـــد حياضـــها لقـــد كـــان لقـــمان بـــن عـــاد يَهَابُهـــا

أنظر: الزكاري رشيد ابن الخياط، **كتاب الألفاظ المعمارية**، تطوان، منشورات جمعية تطاون أسمير والهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين والمجلس الجهوي لجهة طنجة تطوان، الطبعة الأولى، 2003، ص: 50.

[2]- من بين الخصائص المميزة للمدن الإسلامية في العصر الوسيط [في الشرق كما في الغرب الإسلامي] عن نظيرتها بالغرب الأوربي، تخطيط الدروب. ففي الغرب الأوربي استخدمت الأزقة كطرق للعبور، يتصل بعضها ببعض عبر أطرافها المفتوحة من كل الجهات، كما جرى استخدامها في التنقل العام وتحقيق الولوجية للمساكن التي تحدها من الجوانب. أما المدن الإسلامية فقد توفرت أيضا على عدد من الطرق المستعرضة أو الشعاعية استخدمت للوصول إلى الأبواب المفتوحة في السور، لكنها تميزت بتوفرها على أزقة ضيقة ومتعرجة ينطلق منها عدد كبير من الدروب بدون مخارج. أنظر:

Torrès-Balbas, L., «***Les villes musulmanes d'Espagne et leur urbanisation***», in Annales de l'Institut d'Études Orientales, Alger, Année 1942-1947, tome VI, pp: 8-9.; Van der Meerschen, M., «***Marrakech 1900***», in Actes du Colloque sur Marrakech sous le règne des Chorfas Alaouites 1669-1912, Revue de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Marrakech, n°13, 1996, p.74.; Benasser, F., «***L'organisation de l'espace urbain à Marrakech***», in Tensift (Revue de la Géographie de l'Atlas et du Haouz), n°1, 1992, pp: 76-77.

[3]- Erckmann, J., Le Maroc moderne, Paris, Challamel Ainé, 1885, p.136. ***Wilbaux, Q., La médina de Marrakech, Formation des espaces urbains d'une ancienne capitale du Maroc***, Paris, l'Harmattan, 2001, pp: 77-79.

[4]- Nouschi, A., «***Observations sur les villes dans le Maghreb précolonial***», in Cahiers de la Méditerranée, n°23, 1, 1981, p: 9.

[5]- رابطة الدين محمد، **مراكش زمن حكم الموحدين؛ جوانب من تاريخ المجال والإنسان**، المطبعة والوراقة الوطنية بمراكش، الطبعة الأولى، 2008، الجزء الأول، ص: 80.

للمُؤلفين، لا صلة له بواقع التسميات الدارج إطلاقها في العصر الوسيط على كل من القرية والجهة والمدينة، ودليلنا على ذلك هو اختلاف المصادر المغربية الوسيطية في وصف المجال الواحد كحومة أگـادير وحومة الصالحة في مراكش، فهي تسميها تارة "حومات"، وتارة أخرى تطلق عليها صفة "المدينة"[1].

تجدر الإشارة ههنا إلى وجود اسم آخر جرى إطلاقه في مدينة مراكش على القطاعات السكنية، هو الحارة. فقد وُجدت إحداها خارج المدينة قرب باب أغمات وهي حارة الجذماء[2]، قبل أن يتم نقلها إلى خارج باب دكالة زمن السعديين، حيث تركت أثرا طوبونيميا هو اسم الحارة[3]. أما داخل المدينة فيمكن أن نذكر حارتين هما حارة أبي يعبيدن[4]التي اختفى اسمها لا فضاؤها، وحارة الصورة[5].

اعتبر أحد الباحثين "الحارة" اسما خاصا بالأحياء السكنية اليهودية في مراكش[6]، وهو رأي مُـجانب للصواب، فقد أشارت المصادر كما سلف الذكر لحارتين لم تُعرَفا باختصاصهما بسكنى اليهود، هُما حارة الجذماء، وحارة أبي يعبيدن حيث كان مسكن حَسُّون ابن منية بنت

---

[1]- رابطة الدين محمد، **مراكش**، الجزء الأول، ص: 80.

[2]- ابن الزيات التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف**، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 22، الطبعة الثانية، 1997، صص: 268-313؛ الإفراني محمد الصغير، **درر الحجال في مناقب سبعة رجال**، دراسة وتحقيق حسن جلاب، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، 2000، ص: 131؛ بوتشيش إبراهيم القادري، "معمار مراكش في عصر المرابطين والموحدين من خلال النصوص الأثرية في المصادر المكتوبة"، **مجلة المناهل**، السنة 27، العدد 73-74، ذو الحجة 1425هـ/ فبراير 2005، ص: 282.

[3] – الإفراني محمد الصغير، **درر الحجال**، ص: 131.

Deverdun, G., ***Marrakech des origines à 1912***, Rabat, Editions Techniques Nord-africaines, 1959,tome I, p: 589.

[4]- ابن الزيات التادلي، **التشوف**، ص: 317.

[5]- لكديم الصوصي مولاي إبراهيم، "مدونة دروب، أحياء وحومات مدينة مراكش العتيقة: الأحياء التاريخية القديمة والحديثة، توطينها وما احتفظت به الذاكرة في شأنها"، **مجلة جامعة ابن يوسف**، العدد 5، 2006، ص: 175.

[6]- لكديم الصوصي مولاي إبراهيم، **"مدونة دروب"**، ص: 175. نعتقد أن الباحث استعار هذه الفكرة من البلاد التونسية، حيث يجري إطلاق اسم الحارة على الحي المخصص لليهود، أما المغاربة فيطلقون عليه اسم الملاح، أنظر:

Gasselin, Ed., D***ictionnaire Français-Arabe: Dialectes Algérien, Tunisien, Marocain et Saharien, Alger***, Pierre Fontana et C[ie], imprimeurs-éditeurs, 1898, p: 600; Stillman, N., ***The Jews of Arab lands***, A History and source book, Philadelphia, The Jewish Publication Society of America, 1979, pp: 410-419; Gottreich, E., ***Le Mellah de Marrakech: un espace judéo-musulman en partage***, traduction de Mohamed Hatimi, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat, Série: Textes Traduits n°19, 2016, pp: 20, 207.

ميمون الدكالي. أما التعريف الثاني للحارة فهو كونها مجالا سكنيا كبقية الحومات، إلا أنها أقل كثافة ومساحة منها[1]. لكن لماذا استمر إطلاق اسم الحارة على هاته المجالات رغم نموها واتساع الرقعة السكنية بها؟ هو سؤال مفتوح، في انتظار العثور على وثائق تاريخية جديدة.

أما بالنسبة لحدود الحومات فهي غير مُـجسدة ماديا بواسطة تخطيط الطرق، لكنها موجودة داخل الـجُزُر السكنية على مستوى الجدران المشتركة الفاصلة – على سبيل المثال – بين منزلين يوجد مدخل كل واحد منهما في درب مختلف عن الآخر، على أن ينفتح الدربان على أزقة في حومتين مختلفتين. وبالإمكان وضع حدود الحومات التقليدية في المدينة بطرق مختلفة، كالاعتماد على التقطيع الإداري الرسمي، أو بجرد أسماء الأماكن والعناوين البريدية لمساهمتها هي الأخرى في الكشف عن حدود الحومات[2]، أو باستجواب السكان عن انتمائهم لهذه الحومة أو تلك، أو بإنجاز تصنيف للحومات انطلاقا من التجهيزات والمرافق الجماعية، لاستحالة نشوء ونمو الحومة بدون حد أدنى من التجهيزات كالمسجد والسقاية والمدرسة والحمام والسويقة[3].

من جهة أخرى، يمكن تصنيف الحومات حسب بنيتها إلى نوعين هما: الحومة ذات النسيج التقليدي، كحومة قاعة بناهيض، وتتميز بشبكة تقطيعات للفضاء السكني دون اتجاه محدد، وطرق ذات تخطيط غير منتظم ومُشجَّر. ثم الحومة ذات الوحدات السكنية المنظمة، كحومة رياض الزيتون، وتتميز بتقطيعات متعامدة تفضي إليها أزقة رُسمت بواسطة حبل رفيع وذات تراتبية ممتازة. لكن يجب التنبيه إلى احتواء بعض الحومات ذات النسيج التقليدي على قطاعات سكنية ذات بنية منتظمة، كما هو الحال بالنسبة لدرب تزگـارين ودرب ابن برجان. كما أن هناك حومات تفلت من هذا التصنيف المزدوج، كالملاح الذي يقدم تصميما منتظما لم يتأسس على الدروب المغلقة، ثم إن هناك حومات ذات بنية سكنية حديثة ذات تقطيع غير منتظم، يمثل سكنا شعبيا لا يأخذ بخصائص السكن التقليدي، كما هو الحال بالنسبة للقصبة التي شيدت مساكنها بشكل غير منظم فوق أراضي مخزنية، وحومة باب أحمر وحومة باب الدباغ[4].

---

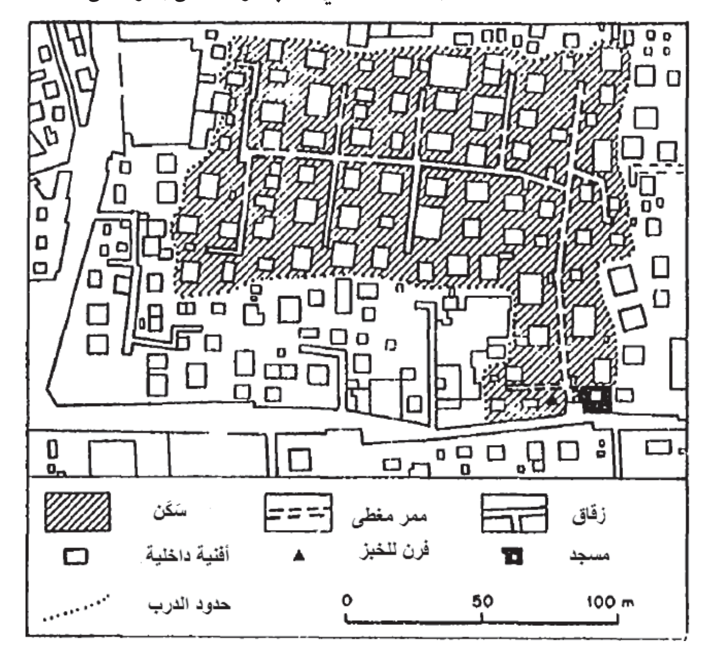
[1]– رابطة الدين محمد، **مراكش**، الجزء الأول، ص: 81.

[2]– يعتبر اسم الحومة دالا على اسم أصحاب ذلك المكان في أغلب الأحيان أو مجرد وصف لما كانت عليه تلك الحومة. وقد حملت الدروب بدورها أسماء دالة على صفتها وشكلها أو اسم سكان المنازل المحاطة بها في زمن معين. أنظر: حمادي قاسم، "الأعلام الجغرافية في الوسط الحضري المغربي بين الأصالة والمعاصرة"، ضمن أعمال **ندوة الاسم الجغرافي: تراث وتواصل**، تنظيم المعهد الجامعي للبحث العلمي ومديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية، المحمدية، مطبعة فضالة، 1994، صص: 130-131.

[3]- Wilbaux, Q., **La médina**, p: 79.

[4]- Wilbaux, Q., **La médina**, p: 80.

قطاعات سكنية ذات بنية منتظمة في درب تزگـارين بمراكش.



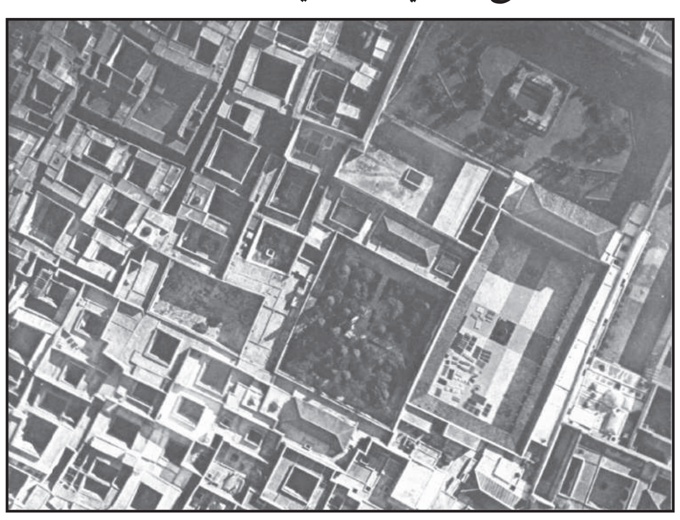
Van der Meerschen, M., «Les médinas maghrébines », in Etudes et documents sur le patrimoine culturel, n°12, 1985, p: 69.

ويمكن اعتماد هذه البنية في تأريخ الحومات، فالحومات ذات شبكة الأزقة والتقطيع المنتظم هي قطاعات سكنية أنشأت حديثا فوق أراضي بورية أو فوق حدائق قديمة. أما الحومات القديمة ذات التقطيع غير المنتظم فتطرح عدة أسئلة. وهنا يجب التنبيه إلى خطورة القول بأن الفضاءات الخاصة كالمنازل هي التي أنتجت الأزقة الفاصلة بينها[1] وليس العكس، فهي رؤية سلبية للفضاء العمومي على مستوى التنظيم الحضري، كما أنه رأي جامد، لعدم أخذه بعين الاعتبار تطور النسيج الحضري. فعدم انتظام التقطيع ومسارات الأزقة في الحومات القديمة يمكن أن يكون نتيجة للتحولات البطيئة لنسيج كان في الأصل أكثر انتظاما[2].

[1]- نجد هذه الفكرة لدى: الهبري محمد المطالسي، "بناة المدن العتيقة"، ضمن كتاب **الحكمة والفنون الإسلامية العريقة؛ ذكرى إبراهيم تيتوس بوخاردت**، أعده للنشر جعفر الكنسوسي، سلسلة حِكمة، مراكش، دار القبة الزرقاء، الطبعة الأولى، 2000، ص: 117.

[2]- Wilbaux, Q., **La médina**, p: 81.


طرف من النسيج الحضري لمراكش [في يمين الصورة قصر الباهية].



Gallotti, J., Le jardin et la maison Arabes au Maroc, Paris, Éditions Albert Lévy, 1926, tome I, 1ère planche.

أما بالنسبة لسيرورة تَكَوُّن حومات مراكش، فيُمَيز المهندس المعماري كونتان ڤيلبو (Q. Wilbaux) بين ثلاث سيرورات، تنطلق أولاها من الزرايب، كما هو الحال بالنسبة لحومة زرايب سيدي أحمد الزاوية، التي كانت إلى حدود سنة 1917م [حسب الصور الجوية الملتقطة آنذاك] عبارة عن حظيرة للحيوانات[1]. أما السيرورة الثانية فتتم عبر التجزيء والتقطيع الطبيعي للحدائق والمنازل الكبرى، ولعلها كانت وراء تشكل أغلب حومات المدينة، ثم السيرورة الثالثة من خلال تقطيع منظم لأرض مغلقة (بساتين، حدائق، أراض بورية، جنانات، عرصات...، الخ)[2].

ويعود اختيار فئة اجتماعية أو قبيلة أو طائفة دينية لإنشاء حومة خاصة بها حسب بعض الباحثين، لشعورها بالأمن والأمان والتماسك، خاصة حينما تكون المدينة جديدة وسُكانها وافدين جُددا، فيميل أفراد كل فئة حينذاك إلى التجمع والإقامة في حومة واحدة[3]، ولعل هذا ما

[1]- لكديم الصوصي مولاي إبراهيم، **"مدونة دروب"**، ص: 165.

[2]- Wilbaux, Q., ***La médina***, p: 87.

[3]- منيمنة سارة، "التكوين الوظيفي للمدينة الإسلامية"، مجلة **الفكر العربي**، السنة الرابعة، العدد 29، تشرين الأول (أكتوبر) - تشرين الثاني (نوفمبر) 1982، ص: 135.

Gottreich, E., ***Le Mellah***, p: 21.

جعل البعض يميل لاشتقاق اسم الحومة من الحماية والأمن[1]، خاصة أنها كانت تغلق ليلا بواسطة أبواب عازلة لها عن بقية أجزاء المدينة[2]. وفي هذا الموضوع يقول الصحافي الأفريقاني والـمُراسل الحربي بجريدة La Vanguardia الكطلانية خوصي بوعادا إي روميو (José Boada y Romeo) بعد زيارته لمدينة مراكش في نهاية القرن التاسع عشر: "ولكل حي من هذه الأحياء [حومات مراكش] أبوابه الخاصة التي تغلق ليلا، ومن ثم تصبح هذه الأحياء معزولة عن بعضها البعض. وهذا النظام غير المريح للجَوَّابين يستجيب لضرورة الدفاع عن النفس من قبل القاطنين في حالة هجوم القبائل، أو قيام ثورة أو تمرد. إن تقسيم المدينة إلى أحياء تعزل نفسها بالطريقة المذكورة يضاعف من وسائل الدفاع عنها، وإن مسألة حسن الدفاع هذه هي أسمى ما يتطلع إليه هذا البلد الذي تكثر به الحروب الأهلية إلى حد الجزم بأن فترات السلام به، تعد استثناء"[3]. أما الرحالة والدبلوماسي الفرنسي إتيان ريشي فيقول: "المدينة [مراكش] عبارة عن تشابك من الطرق الضيقة والقذرة والمفصولة بواسطة أبواب عديدة. ولعبور بعض الأحياء لابد من القيام برحلات حقيقية تحت الأرض يتم عند منتهاها الطلوع إلى الضوء وإلى الحياة"[4].

حومات مراكش: الإحصائيات

تُوَاجه الباحث في تاريخ حومات مراكش صعوبة مرتبطة بغياب الإحصائيات. فالمصادر التاريخية لم تقدم أية إشارة بخصوص العدد الإجمالي لحومات مراكش، واكتفت في المقابل بتقديم أسماء البعض منها. وهو ما حاول محمد رابطة الدين استغلاله للوصول إلى وضع لوحة إحصائية لبعض حومات مراكش زمن حكم الموحدين، مع إقراره بأن "تقديم إحصاء دقيق لحومات مراكش في زمن حكم الموحدين أمر غير ممكن في الوقت الحالي"[5]. تضمَّنت هذه

---

[1]- El Moujaddidi, N., ***La dynamique urbaine des villes marocaines***, Thèse en vue de l'obtention du Doctorat es-sciences économiques, Faculté des Sciences Economiques et de Gestion, Université Montesquieu, Bordeaux IV, 1995, p: 69.

[2]- فتحة محمد، "تنظيم المجال الحضري داخل المدينة المغربية في نهاية العصر الوسيط"، ضمن **وقفات في تاريخ المغرب، أعمال مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 27، 2001، ص: 68.

[3]- إي روميو خوصي بوعادا، **ما وراء المضيق؛ المغرب في القرن 19م بعيون إسبانية**، ترجم النص وقدم له ووضع هوامشه محمد عبد السلام المرابط، طنجة، منشورات ليتوغراف، الطبعة الأولى، 2015، ص: 454.

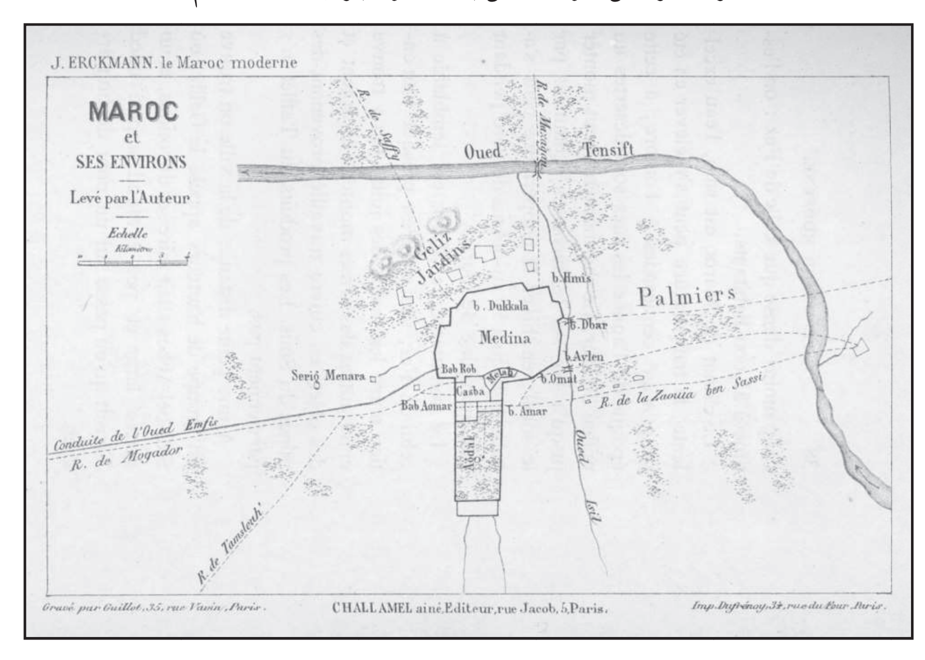
[4]- ريشي إتيان، **رحلة في أسرار بلاد المغرب**، ترجمة بوشعيب الساوري، مراجعة وتقديم المبارك الغروسي، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2016، ص:171.

[5]- رابطة الدين محمد، **مراكش**، الجزء الأول، ص: 82.

اللوحة الإحصائية 12 حومة، واحدة منها خارج أسوار المدينة (حارة الجذماء)، أما الحومات المتبقية فتوجد داخل المدينة، وتتوزع بشكل متفاوت، فهي تتركز في القسمين الشرقي والجنوبي من المدينة وتقل في باقي أقسام المدينة[1].

إلى جانب هذه المحاولة لإحصاء حومات مراكش في العهد الموحدي، نتوفر على إحصاء آخر يعود لسنة 1885م، وَرَدَ في كتاب "المغرب الحديث" لمؤلفه جول إيركمان (Jules Erckmann) الذي تولى سنة 1879م رئاسة البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب إلى أن تم عزله سنة 1883م. وقد ضمّن كتابه هذا تصميما لمراكش يكاد يخلو من أية معطيات بخصوص التنظيم الداخلي للمدينة، فقد اقتصر فيه على الإشارة إلى حومة القصبة والملاح وأگـدال وبعض أبواب مراكش الخارجية[2]. عدا ذلك، قدَّم إيركمان في متن كتابه لا في التصميم، إحصاءً لحومات مراكش، قائلا أن المدينة تضم 24 حومة، أما المساحة المأهولة بالسكان داخل المدينة فتبلغ 24 كيلو متراً مربعاً[3].

خريطة لمراكش ونواحيها من إنجاز جول إيركمان سنة 1885م



[1]– رابطة الدين محمد، **مراكش**، الجزء الأول، صص: 91-92.

[2]- Deverdun, G., «Note sur les plans Français de Marrakech au XIX^{e} siècle», in **Hespéris**, tome XXXVI, 1er – 2^{e} trimestres, 1949, p: 240.

[3]- Erckmann, J., ***Le Maroc***, p: 37.

وفي سنة 1899م، وضع لارّاس (Larras) تصميما لمدينة مراكش في شهر دجنبر من سنة 1899م. وقد كانت كلمة "سِرِّي" موضوعة في التصميم مكان اسم المؤلف الذي كان ضابطا ضمن البعثة العسكرية الفرنسية زمن حكم السلطان مولاي عبد العزيز. لكنه تصميم ظل مجهولا لأنه لم يكن موجها للعموم، وظل حبيس رفوف المصلحة الجغرافية للجيش بباريس، إلى أن كشف عنه غاستون دوفردان وبَيَّن أهميته[1]. وقد بلغ تعداد حومات مراكش حسب هذا التصميم 27 حومة[2]. وفي سنة 1917م، أصدر ابن المؤقت المراكشي كتابه المسمى "السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية"، عرَّف فيه بمشاهير الأولياء المدفونين بالمدينة. وفي تعريفه بهم ذكر أسماء عدد كبير من حومات المدينة، بلغ تعدادها حسب الفهارس التقنية للكتاب 24 حومة[3]، أي أقل من العدد الذي ساقه لارّاس في تصميمه، وهو ما يدل على إغفال ابن المؤقت لذكر حومات أخرى لم يستدع سياق الكتاب ذكرها. وبعد مرور أزيد من ستين سنة، قدّر المهندس ميشيل فان دير ميرشن (Michel van der Meerschen) في دراسة له عن المدن المغاربية، عدد حومات مراكش سنة 1985م بـ 38 حومة[4].

---

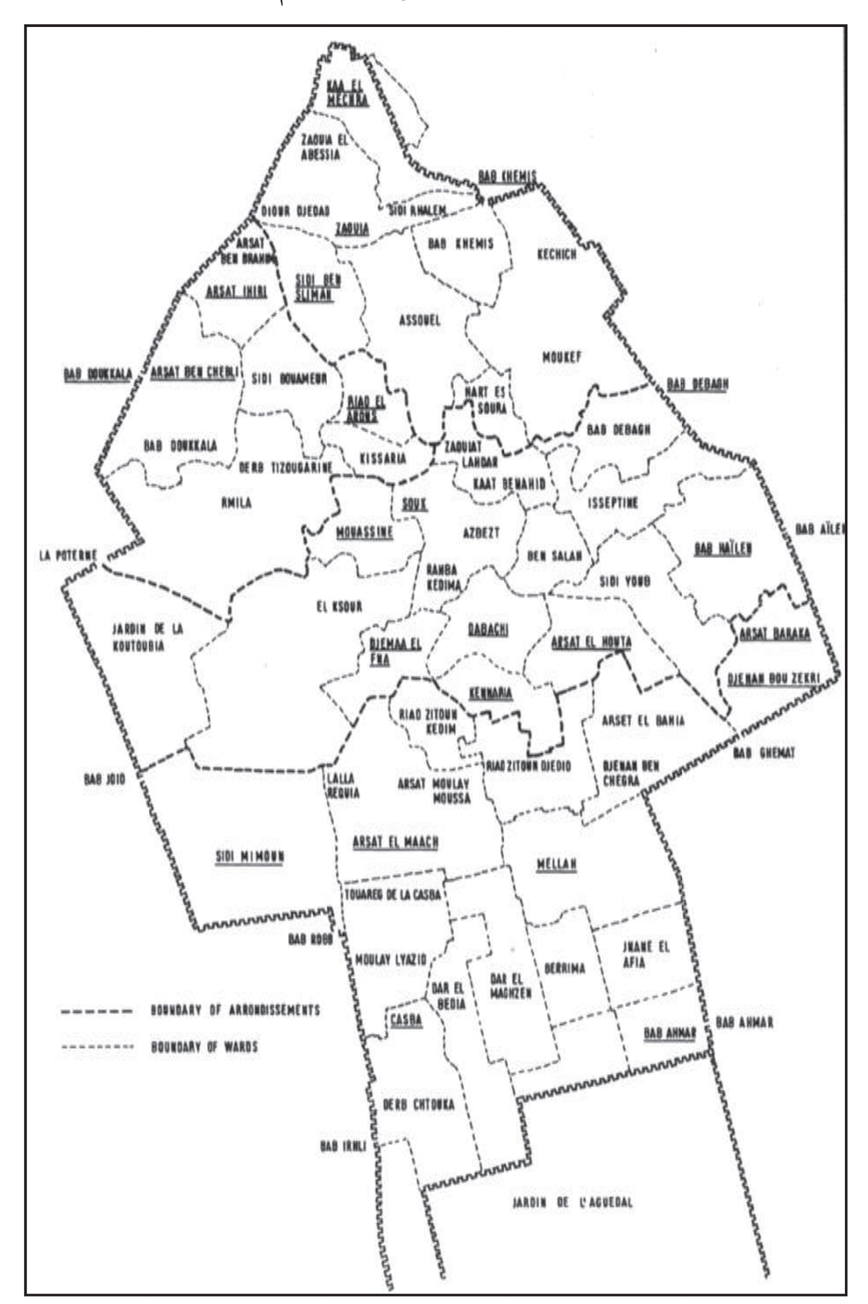
[1]- Deverdun, G., «***Note sur les plans***», pp: 241-242.

[2]- Deverdun, G., ***Marrakech***, tome I, p: 586.

[3]- المراكشي ابن المؤقت، **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، تقديم وتحقيق أحمد متفكر وحسن جلاب، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، 2002، الجزء الثاني، صص: 585-586.

[4]- Van der Meerschen, M., ***Les médinas maghrébines***, in Etudes et documents sur le patrimoine culturel, n°12, 1985, p: 70.

خريطة حومات مراكش (سنة 1982م).



Gottreich, E., Le Mellah, p.23.

من جهة أخرى، رصد مصطفى عيشان 75 حومة[1]. أما الوكالة الحضرية لمراكش، التابعة لوزارة التعمير وإعداد التراب الوطني، فقد وضعت مجموعة من الخرائط الحديثة للمدينة العتيقة، رصدنا من خلال إحداها أسماء 106 حومة[2].

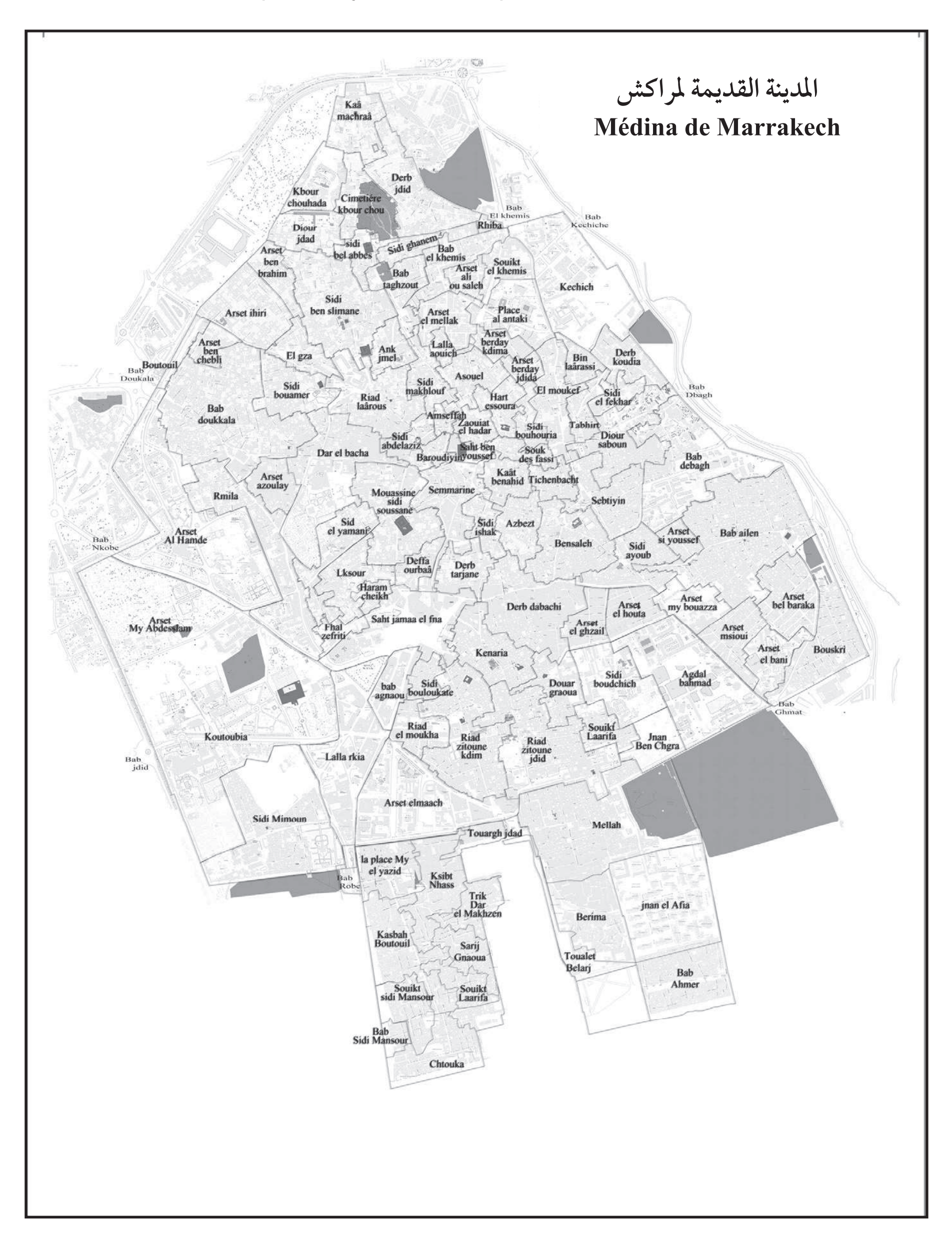
نلاحظ ههنا، ارتفاع عدد الحومات في الإحصاءين الأخيرين، ومَرَدُّ ذلك في نظرنا لاعتماد أصحابهما على معايير مختلفة في تعداد الحومات. فحومة القصبة على سبيل المثال، جرى تقسيمها في خريطة الوكالة الحضرية إلى عشر حومات هي: التوارگ الجداد، ساحة مولاي اليزيد، قصيبة النحاس، طريق دار المخزن، قصبة بوطويل، شاريج گناوة، سويقة لعريفة، سويقة سيدي منصور، باب سيدي منصور، شتوكة. وهو ما يُفسر العدد الكبير للحومات في الخريطة.

[1]- الكرناوي عبد الصادق، "ندوة حول حومات مراكش ودروبها وأسرار أسمائها"، **جريدة الاتحاد الاشتراكي**، 2 يونيو 2014.

[2]- الوكالة الحضرية لمراكش، **خريطة المدينة القديمة لمراكش**، دون تاريخ.

أتقدم بجزيل الشكر للسيد أحمد الفجراني [موظف بالوكالة الحضرية لمراكش]، لمده يد العون، وتوفيره مجموعة من الوثائق المكتوبة والكارطوغرافية عن مدينة مراكش.

خريطة حومات مراكش [الوكالة الحضرية لمراكش].



كُتُب الفهارس وحُومات مراكش

يُقصد بالفهارس تلك القوائم التي كان يستعين بها العُلماء لحصر وتسجيل ووصف الكُتب التي درسوها على شيوخهم، سواء كانت بالقراءة أو السماع أو الإجازة. وقد أفرد لها البعض منهم مؤلفات مستقلة كابن خير الإشبيلي، في حين اقتصر آخرون على ختم بعض من مؤلفاتهم بها، كما فعل الغُبريني. وتكمن أهميتها في احتوائها على معطيات مهمة عن حركة التعليم والتدريس والنشاط التأليفي[1]. إلا أنها قد تتجاوز ذلك إلى معلومات أخرى غير مقصودة في حد ذاتها، تتعلق في بعض الأحيان بالنسيج الحضري للمدينة، كما هو الشأن بالنسبة لفهرس إمام الدين الخليلي المؤرخ بـ 25 محرم عام 999هـ / 3 نونبر 1590م، والذي وضعه بمدينة مراكش زمن حكم السلطان السعدي أحمد المنصور بالله (1578-1603م). فقد تضمن إشارة فريدة عن إحدى الحومات التي نجهل الكثير بخصوص تاريخ نشأتها، وهي حومة أزبزط بمراكش.

ومما جاء في نص هذا الفهرس: "بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، صلاة وسلاما دائمين متعاقبين ما أسفر صباح، ودعا داع إلى الرشد والفلاح. وبعد، فيقول العبد الفقير الراجي فضل ربه القدير، الواضع اسمه عقب تاريخه أدناه – أصلح الله له دنياه وأخراه – لما دخلت في المرة الثالثة أرض المغرب – حماها الله – قاصدا حمى مولانا أمير المؤمنين ابن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، الليث الهصور، والملك المنصور، مولانا أبو العباس أحمد المنصور، وحصل من إحسانه ما أعجز لساني عن أدائه شكره، وكنت أتخلل مجالس العلماء والأدباء وأخبرهم بمن لقيت من علماء الإسلام بمصر والشام، وأن لي سندا امتد بواسطتهم إلى ابن حجر العسقلاني وغيره، فرغب إلي من له الفضل علي مفيدنا وبركتنا الإمام الفاضل، والعلامة الكامل، الخير الدين النقيل الرحالة مفيد الطالبين، وليبي أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي العافية الشهير بابن القاضي، والأديب الفاضل العلامة الأوحد المتفنن المفيد الرحال سيدي الحسين بن أبي القاسم بن أحمد الدرعي ثم الجوزي الملولي – خار الله لهما ونفعهما باعتقادهما– أن أخبرهما بمن أجازني

[1]– صاحبي محمد، "فهارس الشيوخ أو برامج العلماء: بين الضبط البيبليوغرافي والتأريخ للنشاط العقلي"، **مجلة التاريخ العربي**، العدد 39، شتاء 1428هـ/ 2007م، صص: 318-321-322.

من العلماء المشهورين والأئمة المهديين وأن أصل سندهما بهؤلاء السادة الآتي ذكرهم لاسيما في كتب الحديث، فاعتذرت إليهما بأنني لست أهلا لذلك فأبيا إلا تكليفي فصرت أقدم رجلا وأوخر أخرى لأنه كما قيل صاحب البيت بالذي فيه أدرى، ثم توكلت على الملك الرحمان وقلت وبالله المستعان [....] وفي الليلة المسفرة عن خامس محرم فاتح عام تسعة وتسعين وتسعمائة. وكتب بمنزلي بأسبست من حاضرة مراكش كلأها الله و[بياض بالأصل]، أفقر [بياض بالأصل] إمام الدين بن محمد بن يوسف بن علاء الدين بن قاسم البطايحي الخليلي [بياض بالأصل] الخزرجي نسبا، غفر الله لي ولوالدي ولمن دعا لهما وللمسلمين، وعلى الله وعلى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما"[1].

تكشف هذه الوثيقة عن وجود حومة أسبست أو أزبزط منذ القرن 16م على الأقل. وقد نَسَبَ لكديم الصوصي مولاي إبراهيم وأحمد متفكر في نفس السياق درب القاضي الكائن بهذه الحومة لقاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد الله الرجراجي، الذي عاش بدوره زمن حكم السلطان أحمد المنصور بالله[2]. مع أن المصادر لم تذكر ذلك، ولم تحدِّد محل إقامته في مراكش[3]. أما محمد رابطة الدين، فقد اقترح في سياق تحديده للامتداد الجغرافي لحومة باب أيلان في العهد الموحدي، جعل حومة أزبزط التي لم ترد أية إشارة بخصوصها في المصادر الوسيطية، جُزءا من حومة باب أيلان الممتدة آنذاك من باب أيلان إلى مشارف جامع ابن يوسف[4].

حومة جديدة لساكنة جديدة

تقدم لنا مجموعةٌ من المصادر خبرَ وفود عدد كبير من الأندلسيين على مدينة مراكش خلال فترة حكم السلطان عبد الله الغالب بالله (1557-1574م)، فقد "اتصل لعهد الغالب بالله

---

[1]- رزوق محمد، "وثائق جديدة عن الحركة الفكرية في العهد السعدي"، **حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني**، الدار البيضاء، العدد 3، 1986، صص:165-171.

[2]- لكديم الصوصي مولاي إبراهيم، **"مدونة دروب"**، ص: 188؛ متفكر أحمد، **"حومات ودروب لها حضور"**، منشورات المهرجان الربيعي السادس بمراكش، 1997، ص: 37.

[3]- الإفراني محمد الصغير، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، الدار البيضاء، مركز التراث الثقافي المغربي، الطبعة الأولى، 2004، صص: 186-187؛ المراكشي ابن المؤقت، **السعادة**، الجزء الثاني، صص: 453-454؛ متفكر أحمد، **قضاة مراكش عبر العصور**، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2010، صص: 127-128.

[4]- رابطة الدين محمد، **مراكش**، الجزء الأول، ص: 88.

بعظيم دولته أبي علي الحسن بن أبي بكر واختلف لداره بفاس أيام رياسته، فجذب بطبعه ومكن قومه عند الخليفة وعقد له على الغرباء من قومه النازعين إلى المغرب من بلاد الأندلس، فجمعهم من كل قطر وتألف منهم[1] على يده جيش كثيف من الناس بمراكش، وأقطعتهم الدولة أراضي فسيحة بالجانب الغربي من فحصها الأفيح فاغترسوا بها جنات معروشات وغير معروشات، وحصلوا من استغلال ذلك إلى اليوم على ما أنساهم ذكر وطنهم واعتاضهم مما فاتهم به"[2].

في السياق نفسه، أشار مارمول كربخال إلى هذه الجالية الأندلسية المُستقدمة إلى مراكش، وحدَّد بدقة أصل أوائل الوافدين منها على المدينة بقوله أنهم "يقيمون في مراكش بحي يسمى الآن أورخيبا الجديدة[3]، لأن أول من سكنها منهم جاءوا إليها من تلك المدينة"[4]. وبالرجوع إلى الوثائق الكارطوغرافية والتاريخية، سنجد أن حي أورخيبا الجديدة هو الحومة التي ستحمل فيها بعد اسم روض الزيتون[5]، والتي مازالت أسماء بعض من دروبها شاهدة على الحضور الأندلسي، كدرب الطليطلي ودرب البَلَنْسِي ودرب غرناطة[6].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو: لماذا عُزِل الأندلسيون في حومة خاصة بهم عن بقية سكان مراكش؟ يبدو أن مجموعة من المناطق رفضت استقبال الأندلسيين

---

[1]- حدد الزياني عددهم في أربعة عشر ألفا، أنظر: الزياني أبو القاسم، **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب**، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، رقم 658 د، ص: 350. نقلا عن رزوق محمد، "الجالية الأندلسية بمراكش خلال العهد السعدي الأول"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش**، العدد 6، 1990، ص: 123.

[2]- الفشتالي عبد العزيز، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الكريم كريم، الرباط، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الطبعة الثانية، 2005، ص: 42؛ المكناسي محمد بن العياشي، **زهر البستان في نسب أخوال سيدنا ومولانا زيدان**، تحقيق ودراسة الدكتور أحمد قدور، الرباط، مطابع الرباط نت، 2013. ص: 142.

[3]- أورخيبا Órgiva مدينة اسبانية تقع حاليا جنوب مدينة غرناطة.

[4]- كربخال مارمول، **إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق وأحمد بنجلون، الرباط، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1989- 1988، الجزء الثاني، ص: 57.

[5]- الزياني أبو القاسم، **الترجمان المعرب عن دول المشرق و المغرب**، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، رقم 658 د، ص: 350. نقلا عن رزوق محمد، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17**، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، الطبعة الرابعة، 2014، ص: 375.

ينقسم هذا الحي إلى قسمين هما رياض الزيتون القديم ورياض الزيتون الجديد، ولعل هذا التمييز مرتبط بتواريخ الاستقرار الأندلسي في كل واحد منهما.

[6]- لكديم الصوصي مولاي إبراهيم، **"مدونة دروب"**، ص: 212.

Deverdun, G., **Marrakech**, tome I, p: 479.

الـمُهَجَّرين من بلادهم إثر صدور مراسيم الطرد، بل تم نهبهم وإخضاعهم لمعاملات بشعة في بعض الحالات[1]. ويعود السبب في ذلك إلى الصراع القائم منذ العصر الوسيط بين أهل العدوة والأندلس[2]؛ فابن الخطيب يعبر عن ذلك بعبارة "النفرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة"[3]، وينقل المقري عن بعض المؤرخين الأندلسيين قوله: "ولما كان البربر بالقرب منهم، وليس بينهم سوى تعدية البحر، ويرد عليهم منهم طوائف منحرفة الطباع خارجة عن الأوضاع، ازدادوا منهم نفورا، وكثر تحذيرهم من مخالطتهم في نسب أو مجاورة، حتى أنبث ذلك في طبائعهم، وصار بغضهم مركبا في غرائزهم، فلما علم البربر عداوة أهل الأندلس لهم وبغضهم، أبغضوهم وحسدوهم، فلا تجد أندلسيا إلا مبغضا بربريا ولا بربريا إلا مبغضا أندلسيا"[4]. أما التفسير الثاني، وقد يكون متصلا بالأول، فهو أن الهِجرات الجماعية تقتضي من مناطق الاستقبال إعداد فضاء أو حيز مكاني بعينه للقادمين الـجُدد، قَصدَ احتواء المشاكل الاجتماعية والعمرانية والاقتصادية التي قد تنجم عن اختلاط الساكنة الـمُقيمة بالمهاجرين الـجُدد. وهو ما حدث بالفعل في مدينة فاس لما قدِم إليها الأندلسيون بعد ثورة الربض بقرطبة، وأسَّسُوا عدوة الأندلس على الضفة الأخرى من النهر، أمام عدوة القرويين. وفي شفشاون أيضا، بعد استقبالها في وقت لاحق للأندلسيين الغرباء، الذين استقروا في حومة خاصة بهم تعرف إلى يومنا هذا بريف الأندلس[5].

---

[1]- مجموعة من المؤلفين، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، إشراف وتقديم محمد القبلي، الرباط، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، 2011، ص: 397.

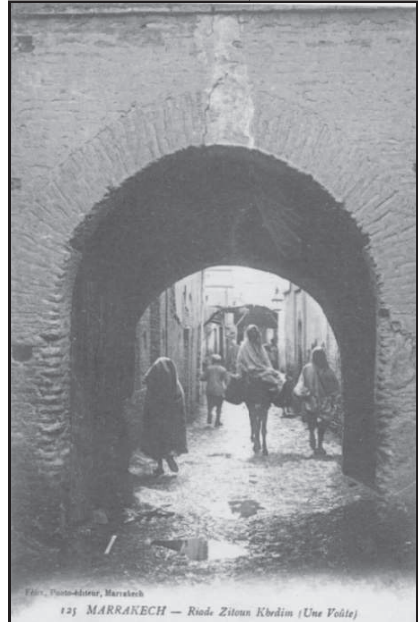
[2]- رزوق محمد، "تطور استقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الأقصى"، **حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني**، الدار البيضاء، العدد 3، 1986، ص: 129.

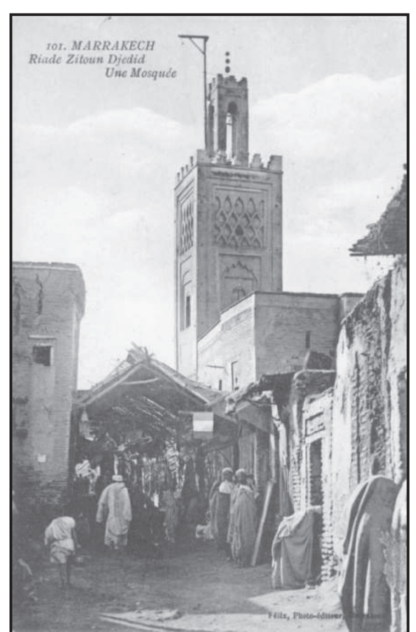
[3]- ابن الخطيب لسان الدين، **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2011، ص: 227.

[4]- ابن خلكان أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1994، الجزء الخامس، ص: 324.

[5]- أتوجه بجزيل الشكر للدكتور محمد رضى بودشار الباحث في التاريخ والتراث الأندلسي والتصوف بالغرب الإسلامي، على إفاداته في هذا الموضوع.

بطائق بريدية: تصوير فليكس (Félix)، حومة رياض الزيتون القديم [في اليمين] ورياض الزيتون الجديد [في اليسار].





الإبيغرافيا والحومات

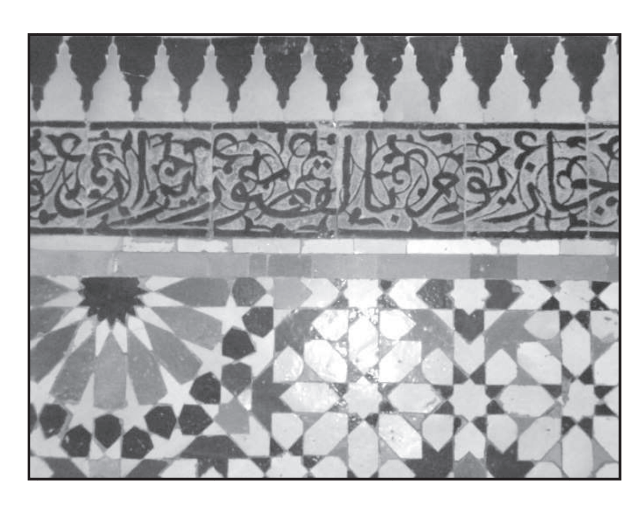
من بين المصادر التاريخية البديلة أو الـمُساعدة: الكتابات المنقوشة على مواد صلبة بشكل خاص، فهي وثائق تاريخية لها مصداقيتها، خاصة إذا لم تتعرض لتحريف في نصها أو تبديل في مكانها[1]. وقد استرعت هذه الكتابات في مراكش – كغيرها من المدن العتيقة– انتباه العديد من الباحثين الأوربيين ثم المغاربة، الذين سارعوا لتصويرها، وقراءة نصوصها، وترجمتها، ثم التعليق عليها. ومن أبرز الدراسات في هذا الصدد "الجامع للكتابات العربية المنقوشة بمدينة مراكش" لغاستون دوفردان، فقد اشتمل على نصوص 255 كتابة، تمتد زمنيا من مطلع القرن الحادي عشر الميلادي إلى سنة 1946م[2]. إلا أن الـمُؤلِّف لم يُـحِط بكل الكتابات العربية

[1]– عوني الحاج موسى، **فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامي: مدونة الكتابات المنقوشة السعدية والعلوية بمدينة فاس، دراسة تاريخية وفنية**، الدار البيضاء، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، سلسلة أبحاث، رقم 2، 2010، الجزء الأول، ص: 20.

[2]- Deverdun, G., ***Inscriptions arabes de Marrakech***, Rabat, publications de l'institut des Hautes études Marocaines, tome LX, 1956.

المنقوشة في المدينة، وهو ما تداركه بعض الباحثين، عبر تكثيف التحريات في المباني والمواقع الأثرية والتاريخية للكشف عن كتابات جديدة.

ومن بين الكتابات الجديدة ذات الصلة بقضية الحومات، كتابة كشفت عنها الباحثة رشا علي، بدار المصلوحيين في حومة القصور (رقم الدار 52). وهي دار نشأت في العهد السعدي، ما تزال محافظة على شكلها وزخارفها الأصلية، وإن تعرضت للتجزيء بعدما كانت قصرا كبيرا[1]. وقد احتوى فناؤها على كتابة عربية منقوشة على مربعات الزليج، مما ورد فيها[2]: "[...] أردد في الأسماع حجة سامع ومن جاز يوم بالقصور يَرَانِ، فلا فخر إلا ما تبوأ صانعي بمملكة المنصور ملك زمان [...]"[3].



تدل هذه الكتابة العربية على وجود حومة القصور زمن حكم السلطان أحمد المنصور بالله (1578-1603م)، وهي إشارة تؤكدها المصادر المكتوبة، فابن عسكر الشفشاوني (1529-1578م) يشير لهذه الحومة في موضعين من كتابه أثناء ترجمته لعبد الله بن عجَّال الغزواني

[1]- سالمون گزافيي، **الباهية المنسية لمراكش؛ مصرية بحي المواسين**، ترجمه إلى اللغة العربية سمير أيت أومغار وزينب كادو، مراكش، منشورات متحف المواسين، 2016، ص:8.

[2]- أتوجه بالشكر الجزيل للسيد عبد السلام الداموسي على سماحه لي بأخذ صور فوتوغرافية للكتابة العربية المنقوشة على مربعات الزليج بدار الشرفاء المصلوحيين.

[3]-Ali, R., ***L'épigraphie monumentale Saadienne au Maroc***, thèse pour obtenir le grade de docteur, discipline Histoire de l'Art, Université Paris IV, 2008, tome II, p: 429.

الذي عاصر بدايات الدولة السعدية، ذاكرا أن الـمُتَرْجَمَ له "دُفن بزاويته داخل مدينة مراكش بحومة القصور"[1].

التصميم البرتغالي وحومة القصبة

تشير المصادر إلى الشروع في بناء حومة القصبة المسماة أيضا بتامراكشت والصالحة منذ سنة 580 هـ/1185م، فقد أمر المنصور "باختطاط الصالحة وحشد لها العرفاء والصناع وكل من شهر بالإتقان والاطباع وحدقت مساكنها بالتكسير وأرضى بالتعويض من كان له بها شيء صغير أو كبير وقسمت مساكنها وعينت لما تحتاج إليه من المنافع أوضاعها وأماكنها وجمعت لها الآلات وخوطب بإمدادها الجهات ورتب لأشغالها من حفاها وحفاظها وعرفائها ونظارها وأوعز إليهم وأكد عليهم ألا ينشئوا شيئا من البنيان إلا فوق الغاية من الوثاقة والإتقان فأقبلوا على العمل من غير ملل ولا كلل مواصلين مساءهم بصباحهم وموالين غدوهم برواحهم حتى كملت على أحسن الهيئات وفوق ما أمل فيها من الإرادات فصارت بها حضرة مراكش مصر الأمصار وغاية في الفخامة وارتفاع المقدار"[2]. وقد تكونت الصالحة أو القصبة حسب الإشارات المصدرية من عدة قصور ودور سكنية خاصة بأعيان الدولة إضافة إلى منشآت متنوعة ومؤسسات مخزنية ومقبرتين[3].

يعود التصميم البرتغالي إلى سنة 1585م. وقد كُشِف عنه لأول مرة داخل مخطوط برتغالي[4] من طرف الباحث كُولر (R. P. Koehler) أثناء تحرياته في مكتبة الإسكوريال بضواحي

[1]- الشفشاوني محمد بن عسكر، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، الرباط، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التراجم (1)، 1977، ص: 99.

[2]- ابن عذاري أحمد بن محمد المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (قسم الموحدين)**، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، منشورات الجمعية المغربية للتأليف الترجمة والنشر بالرباط، بيروت، دار الغرب الإسلامي - الدار البيضاء، دار الثقافة، الطبعة الأولى، 1985، ص: 174.

[3]- رابطة الدين محمد، **مراكش**، الجزء الأول، صص: 101-100؛ كاظم المياح مشتاق، **مراكش خلال عصر الموحدين: دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية**، دمشق، دار صفحات للنشر والتوزيع - بغداد، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، 2014، ص: 185.

[4]- **Relation de la vie et de la mort de sept jeunes gens que Mouley Hamet, roi du Maroc, tua parce qu'ils étaient chrétiens, desquels l'un était fils de renégat et marocain de naissance, les autres faits musulmans par force, le 4 juillet 1585, et écrite par un religieux de la T. Ste. Trinité et Rédemption des Captifs**, traduction et annotation par le R. P. Henry Koehler, Rabat, Editions Félix Moncho. 1937.

العاصمة الاسبانية مدريد[1]. ويتميز بتحديده لمواقع المباني الأساسية والأسوار والأبواب، كما أنه يشير للقياسات والمسافات الأساسية باستخدام وحدة القياس البرتغالية المسماة paços. وبالتالي يمكن بعد القيام ببعض العمليات الحسابية، الوصول لمطابقة التصميم البرتغالي مع التصميم الحالي للقصبة، وهو ما حاول كُولر القيام به.

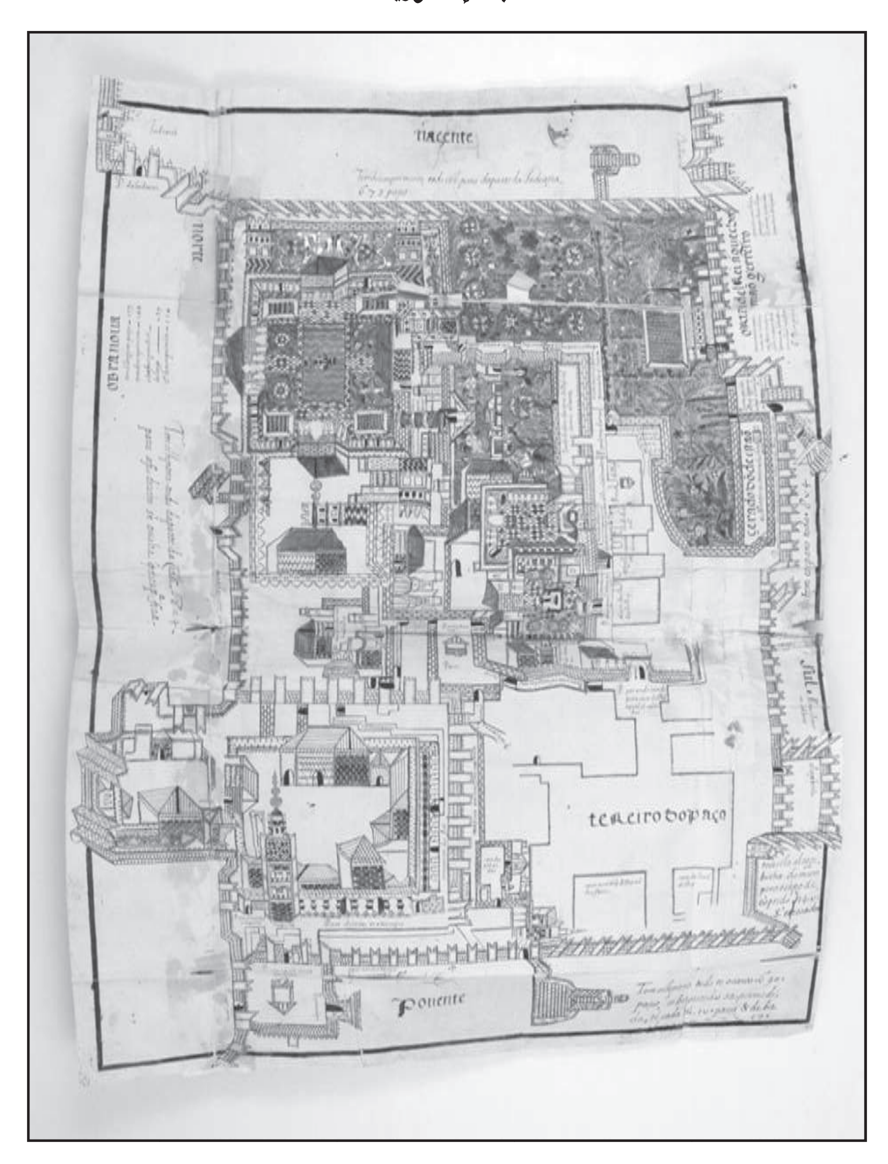
يتميز التصميم بضبطه لمواقع مجموعة من المنشآت، كباب الطبول الذي وُجد عند طرف الجدار المتهدم المار جنوب مقبرة الأشراف السعديين والمتصل في أحد أطرافه بسور القصبة. وقد ظل أثر بداية قوسه ظاهرا إلى وقت قريب، قبل أن يتم طمسه أثناء أشغال الترميم. كما انفرد التصميم بتحديد موقع "السّجينة" المخصصة آنذاك لسجن الأسرى المسيحيين. من جهة أخرى، قدّم التصميم معطيات مهمة جدا عن قصر البديع، وكشف عن تصميم له يتطابق بشكل كبير مع وصف تركه الأب ماتياس دي سان فرانسيسكو (Matias de San Francisco)، الذي تم استخدامه كأسير في أشغال البستنة وتنظيف أحواض المياه بقصر البديع. إضافة إلى ذلك، كشف التصميم عن موقع واحدة من أولى الكنائس بمراكش، فقد كتب صاحب التصميم أسفل السور الغربي القادم من باب أگناو: "هنا، في المنار المميز بصليب، مخزن البارود". ويوجد المنار المشار إليه ههنا عند مستوى باب الطبول، قرب ساحة جامع المنصور. وبالتالي فقد وُجدت كنيسة القديسة مريم (Sainte Marie) قبالة الجامع الكبير، بين السَّاحة والسور المحيط بالمدينة، قرب باب الطبول[2].

[1]- Koehler, P.H., «La kasba Saadienne de Marrakech d'après un plan manuscrit de 1585», in **Hespéris**, Fascicule unique, 1940, pp:1-19.

[2]- Koehler, P.H., «***La kasba***», pp: 4-17.

التصميم البرتغالي لقصبة مراكش سنة 1585م (رقم: d-III-27,fol 64)،

[مكتبة الإسكوريال][1].



[1]- أتقدم بالشكر للسيد باتريك ماناك Patrick Manac'h مدير متحف دار الصورة بمراكش، على مشاركته لي التصميم البرتغالي لقصبة مراكش بعد حصوله عليه من مكتبة الإسكوريال.

تصميم بول لومبير

نشر التاجر الفرنسي بول لومبير (Paul Lambert) في عدد نونبر – دجنبر 1868م، من نشرة الجمعية الجغرافية بباريس، نُبذة عن مدينة مراكش، وتصميما لما أسماه أوغست بُومبي "مَرَّكُوشة المدينة الحمراء". أما بالنسبة لهذا التاجر، فنحن نجهل الشيء الكثير عنه، باستثناء معرفتنا باستقراره في مراكش منذ 1864م، واستمراره مقيما بها سنة 1868م. وعدم توقفه عن إسداء الخدمات وتوفير المعلومات لنائب القنصل الفرنسي بالصويرة السيد أوغست بُومبي (Auguste Beaumier) صاحب الترجمة الفرنسية لروض القرطاس. وكان السبب وراء إنجاز هذا التصميم / الرُّؤية السطحية، رغبة بومبي في الحصول على معلومات دقيقة عن مراكش، لأن المعلومات المتوفرة آنذاك عن المدينة لم تكن دقيقة وواضحة. لذلك قام بتكليف التاجر بول لومبير بوضع تصميم للمدينة سنة 1867م. وبعد مرور بضعة أسابيع على الانتهاء منه وإرساله إلى بومبي، جاء هذا الأخير إلى مراكش للتأكد من صحة المعلومات الواردة في التصميم، فأضاف عليه بخطه: "تمت مُراجعته وتتميمه من طرف أوغست بُومبي بمراكش، فبراير 1868م"، لكن عمله في الواقع لم يتعد تصغير مقياس التصميم، وتصحيح طريقة كتابة بعض الأسماء العربية[1].

[1]- Deverdun, G., **"Note sur les plans"**, pp: 236-237.



صورة فوتوغرافية لأوغست بُوميي



Source: gallica.bnf.fr/ Bibliothèque nationale de France

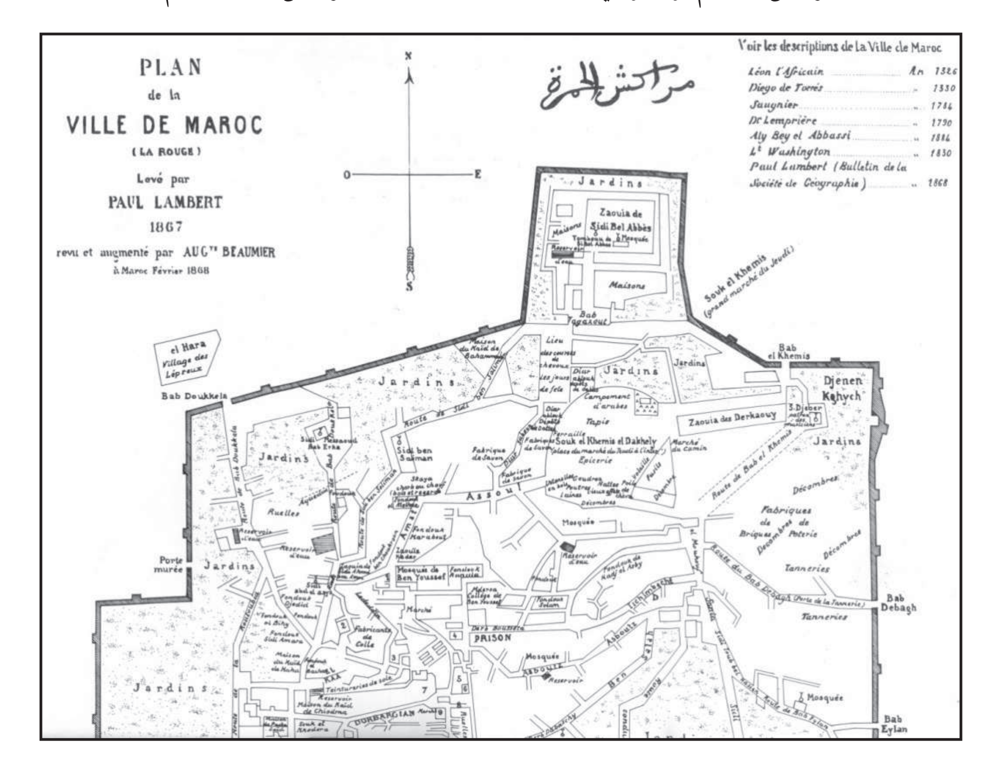
يقدم لنا هذا التصميم معلومات مفيدة، خاصة فيما يتعلق بالطوبونيميا التجارية للمدينة، فهو يذكر أسماء الفنادق والأسواق، ويسمح لنا كذلك بفهم الطريقة التي تم بها قلب حومة بكاملها وجزء من الملاح بعد انطلاق أشغال بناء قصر الوزير أحمد بن موسى خلال القرن 19م. وبفضل هذا التصميم صار من الممكن إعادة تصور حدود الملاح قبل أشغال التوسعة في عهد السلطان مولاي الحسن الأول[1]. كما أنه يكشف عن موقع حارة الجذماء خارج باب دكالة، ويؤكد غياب حومة بوسكري، التي نسب غاستون دوفردان إنشائها للسلطان مولاي الحسن الأول دون تقديم أي دليل على ذلك[2]. إضافة إلى ذلك، يُبرز التصميم شساعة المساحات الخضراء داخل المدينة، وهو ما قد يكون مؤشرا على ضعف وتيرة التعمير. وضعية

[1]- Deverdun, G., **"Note sur les plans"**, pp: 239-240.

[2]- Deverdun, G., ***Marrakech***, tome I, p: 536.

تُذكرنا شيئا ما بوضعية المدينة في القرن 18م، إثر زيارة المكي الناصري لها، وقوله في مقطع من مقاطع رحلته: "وفي وسط المدينة بساتين كثيرة، وفضاء واسع جدا"[1].

جزء من تصميم بول لومبير (Paul Lambert) لمدينة مراكش، سنة 1867م.



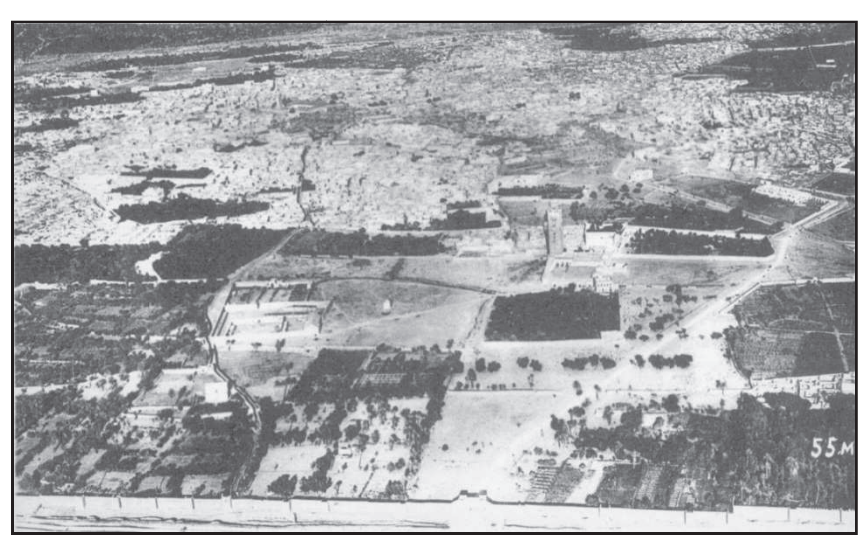
الصور الفوتوغرافية والنسيج الحضري

تعتبر الصور الفوتوغرافية من بين الوثائق الحديثة الـمُمكن اعتمادها لرصد مورفولوجية النسيج الحضري لمدينة مراكش والتحولات الطارئة عليه منذ زمن الحماية الفرنسية، مقابل صعوبة اعتمادها بالنسبة لمرحلة ما قبل الاستعمار. فالصور الفوتوغرافية للمدينة خلال القرن التاسع عشر قليلة جدا، كتلك الصورة الملتقطة سنة 1882 أو 1883م للأقواس المُزينة للواجهة

[1]- عمالك أحمد، "الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، العدد 6**، 1990، ص: 339.

الشرقية للمسجد الموحدي الأول بجوار جامع الكتبيين[1]. ويمكن تقسيم هذه الصور إلى قسمين هُمَا الصور الأرضية والصور الجوية. لكل منهما أهميته في دراسة النسيج الحضري للمدينة، إلا أن الصور الجوية أكثر إفادة في هذا الباب. لتقديمها صورا لمساحات كبيرة من المدينة، يمكن استغلالها بسهولة لرصد الثابت والمتحول في بنيتها. فالصورة التالية على سبيل المثال، التقطها المصور الفوتوغرافي الفرنسي فلوندران (Flandrin) من الطائرة في تاريخ غير محدد، لقسم من مدينة مراكش. يظهر في مقدمته جامع الكتبيين وحومته، إضافة إلى مساحات خضراء كثيرة تحيط بالكتبيين وتمتد إلى حدود الرميلة وجامع الفنا وباب الجديد، تتخللها بعض الأبنية القليلة كضريح علي بن القاسم المدعو بأبي سجدة والمقبرة المحيطة به، وفابريكة الحبة (دار البارود) المتخصصة في تصنيع البارود الـمُزَدَّج، التي أسسها السلطان محمد بن عبد الرحمان (-1873 1859م). وهو ما تغير بشكل جذري في الوقت الراهن، حيث اختفت جل المساحات الخضراء، وحلت محلها وحدات سكنية عصرية، كما تم شق الطرق الحديثة في هذا القطاع كشارع محمد الخامس الذي لم يكن موجودا حين التقاط هذه الصورة الجوية.


صورة جوية لمدينة مراكش زمن الحماية الفرنسية



[1]- Meunié, J., Terrasse, H., ***Recherches archéologiques à Marrakech***, publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines, tome LIV, Paris, Arts et Métiers graphiques, 1952, planche 36.

بناء على ما سبق، نستنتج تعدد الحومات في مراكش، وانقسامها على مستوى البنية إلى حومات ذات نسيج تقليدي، وحومات ذات وحدات سكنية منظمة. أما بالنسبة لتاريخها، فقد تبين لنا من خلال النماذج المقدمة أعلاه، وجود مصادر تاريخية متنوعة ككتب الفهارس، الكتب الإخبارية، الكتابات العربية المنقوشة، التصاميم الأوربية والصور الفوتوغرافية...، بالإمكان استثمارها لتأريخ الحومات ورصد بعض التحولات الطارئة على النسيج الحضري للمدينة. لكننا عاجزون في الوقت الراهن عن الحسم في تاريخ مجموعة من الحومات، فنحن لا نتوفر بخصوصها على إشارات تاريخية مباشرة أو غير مباشرة، قد تسمح لنا بضبط نشأتها في الزمن.